

علم النفس ونظريات التعلم

الباحثة رانيا الهروشي

علم الاجتماع، طالبة باحثة في سلك الماستر "التنظيمات الاجتماعية واستراتيجيات التغيير"، جامعة عبد المالك السعدي

الملخص:

هدفت هذه الدراسة الى التعرف على علم النفس من حيث هو نتاج لمجموعة من التراكمات التاريخية وخاصة مع الفلسفة على اعتبار أن السيكلوجيا ما هي إلا امتداد للفلسفة وتحديدًا الفلسفة اليونانية مع الأثينيين سقراط وأفلاطون وأرسطو، والفلسفة الحديثة مع رينه ديكارت، من خلال جملة من الأفكار والتوجهات، ليأخذ علم النفس استقلالته بوجود منهج وموضوع خاص به في أواخر القرن 19م مع المفكر الألماني "فلهلم فونت"، وهذه العلمية أدت الى بروز ثمة من النظريات أو المدارس التي تهتم بالذات الإنسانية من حيث التعلم، فالإنسان يولد صفحة بيضاء تنقش عليها جملة من التجارب على حد تعبير الفيلسوف التجريبي "جون لوك"، وهذه الأخيرة يكتسبها الفرد من خلال عملية التعلم، ولعل أهم هذه النظريات نجد النظرية السلوكية التي اعتبرت أن التعلم هو نتاج مباشر للسلوك الخارجي، في حين الجشطالتيية ركزت على الاستبصار وفهم عملية التلقين في شكلها الكلي، ففي النظرية البنائية المعرفة تبنى من طرف المعلم والمتعلم، وهذا الأخير ليس مجرد متلقي لها، وفي الأخير نجد مدرسة التحليل النفسي مع "سيمغوند فرويد" التي جاءت بأفكار مخالفة لما تم طرحه من طرف النظريات السابقة، بالاستناد الى عناصر الجهاز النفسي المتجسدة في الهو والأنا والانا الأعلى. الكلمات المفتاح: علم النفس، نظريات التعلم، التعلم، الفلسفة.

Résumé:

Cette étude visait à identifier la psychologie en termes dont il est le produit d'une série d'accumulations historiques, en particulier avec la philosophie, considérant que la psychologie n'est qu'une extension de la philosophie et spécifiquement la philosophie grecque avec les Athéniens Socrates, Platon et Aristote et la philosophie moderne avec René Descartes, à travers une variété d'idées et d'orientations pour prendre soi-même autonomie avec son propre méthode et thème à la fin du 19ème siècle, Cette science a conduit à

l'émergence de théories ou d'écoles qui concernent l'humanité en termes d'apprentissage. L'homme génère une page blanche inscrivant une série d'expériences dans les mots du philosophe expérimental. "John Locke", ce dernier acquis par l'individu à travers le processus d'apprentissage, Peut-être la plus importante de ces théories est la théorie comportementale, qui considère que l'apprentissage est un produit direct du comportement externe. L'éducation ", alors que la gregarité se concentrait sur la prospective et la compréhension du processus d'endoctrinement dans sa forme holistique, Dans la théorie constructive de la connaissance a été adoptée par l'enseignant et l'apprenant, ce dernier n'est pas seulement son destinataire, et dans ce dernier nous trouvons une école psychanalytique avec "Symgond Freud", qui a trouvé des idées contraires à celles avancées par les théories précédentes, basées sur les éléments du système psychologique incarnés dans 'id' ho, ego et super-ego.

Les mots clés :

Psychologie, Théories d'apprentissage, l'apprentissage, Philiso

مقدمة:

إن تاريخ مظهر علم النفس تاريخا عريقا بامتياز، فمنذ أن وجد الانسان على وجه الأرض وهو يهتم بنفسه وحوادثها، فقبل علميته يمكن القول أن معظم أفكاره انبثقت من الفلسفة اليونانية، وتحديدًا مع الفلاسفة الأثينيين (سقراط وأفلاطون وأرسطو)، وإذا تأملنا نظريات هذا العلم أي علم النفس سنجدها تنصب نحو أفكار هؤلاء الأنصار، إذ انكبت السلوكية على السلوك وكيفية تلقيه وهو الأمر الذي ينحاز نحو فلسفة أرسطو، بينما النظرية الجشطالتيه ركزت بالدرجة الأولى على مسألة الاستبصار والفهم الدقيق بالاستناد على العمليات العقلية، وهذا ما تندد عليه فلسفتي سقراط وأفلاطون. يعد علم النفس من بين أهم العلوم التي ظهرت في تاريخ البشرية، ولعل علميته انبثقت في القرون الفارطة القليلة وتحديدًا 1879م، باتخاذها لموضوع ومنهج خاص به، بغرض تجاوز ميتافيزيقية الفلسفة والعمل على علمية جملة من المواضيع المرتبطة بالذات الإنسانية، من هنا وبالعودة للعناصر السابقة يمكننا طرح الإشكالات التالية: ما علم النفس؟ وما هي تراكماته التاريخية حتى أصبحنا نتحدث عن علميته؟ وما هي أهم نظريات التعلم التي تبلورت في ظل بروز علم النفس؟

1. المدخل الاستمولوجي :

❖ سياق بروز علم النفس (من الفلسفة إلى علم النفس)

لخص ودورث¹ Woodworth تاريخ علم النفس في العبارة التالية: "علم النفس عند أول ظهوره زهقت روحه، خرج عقله، زال شعوره، ولم يبق إلا المظهر الخارجي وهو السلوك". وإذا تأملنا هذه المقولة، سنجد أن تاريخ علم النفس هو تاريخ ذو جذور فلسفية بامتياز، فاقتترانه في أولى مراحلها بالروح كان مع كل من سقراط وأفلاطون وأرسطو، في حين المرحلة الثانية تجسدت في الاهتمام بالادراك العقلي، وهذا ما تبين عند الفلاسفة الاثنيين، خاصة أفلاطون الذي تحدث عن عالم المثل والعالم الحسي، وأيضا أرسطو الذي قسم النفس الإنسانية الى ثلاث، النفس الشهوانية والنفس الغاضبة والنفس العاقلة. بينما المرحلة الثالثة من تبلور علم النفس تزعمتها الفلسفة الحديثة بقيادة العقلاني "رينه ديكارت" René Descartes، والذي شدد على أهمية العقل وعملياته الأساسية وخاصة عملية الشك، كما تناول ديكارت ثنائية الجسم والعقل، فالأول يشغل حيزا من الفراغ، بيد العقل فإنه لا يشغل حيزا من الفراغ. وصولا للمرحلة الأخيرة من بروز علمية علم النفس وهي مرحلة اقترانه بالسلوك بكونه من أهم موضوعات علم النفس، وخاصة بعد ظهور المدرسة السلوكية على يد مجموعة من الباحثين والتي سنتعرف عليها في الأسطر اللاحقة. هذا التراكم يوضح أن علم النفس يختلف عن الفلسفة إلا أن منطلقاته الأولى كانت في فترة الفلسفة اليونانية، إن علم النفس² هو علم دراسة الإنسان، شأنه شأن باقي العلوم، إلا أن الاختلاف يكمن في الطريقة أو الكيفية لدراسة هذا الكائن الحي من علم لآخر، فالسيكولوجيا ركزت على الانسان من حيث الكل، بكونه كائن يولد وينمو ويتكاثر ويموت في وسط جغرافي معين، إما منفرد أو مندمج يستجيب أفراده لتنبهات سواء أكانت داخلية (الفيزيولوجية والسيكولوجية) أو تنبهات خارجية (الفيزيائية والاجتماعية).

جاء النصف الثاني من القرن 19م ليشهد علم النفس استقلاله من الفلسفة على يد العالم الألماني 'فلهلم فونت' Wilhelm Wundt كمؤسس لعلم النفس التجريبي بإنشائه لمختبر التحليل النفسي سنة 1879م³، المدخل الاستمولوجي الذي قاد العلوم الإنسانية في مرحلتها ما قبل العلمية الى المرحلة العلمية التي تخضع للقوانين التي حددها "جون بياجى" Jean Piaget في خمسة يكمن ذكرها يشبه الى أن الناس تكرموا وتعلموا اللغة الابدجية، و الكتابة، و يظهر هذا خاصة في الأنساق الفلسفية التي انتجها المفكرون سواء في اليونان أو غيرها. درس فونت⁴ الطب والفيزياء والكيمياء، لكن اهتماماته

¹الداهري صالح حسن أحمد ، الكبيسي وهيب مجيد ، علم النفس العام، دار الكندي للنشر والتوزيع، اربد الأردن الطبعة الأولى، 1999، الصفحة 21-22-23-24

²السيد عبد الحليم محمود ، سليمان شاكر عبد الحميد و اخرون، علم النفس العام، مكتبة غرب، القاهرة، مصر، الطبعة الثالثة 1990 .

³تمحري عبد الرحيم، علم النفس-التيارات والميادين ،مطبعة السيدة الحرة نطوان، المغرب، الطبعة الثالثة 2017، ص 12

⁴حسانين عواطف محمد محمد ، سيكولوجية التعلم: النظريات، عمليات التعلم، قدرات عقلية، المكتبة الأكاديمية، شركة مساهمة مصرية ، الطبعة الأولى 1433 هـ ، القاهرة، مصر، 2012، ص 18-19-20-21

كانت تنصب في مجال علم النفس، حيث نشر مجموعة من الأعمال في هذا الشأن أهمها "مقالات في نظرية الإدراك الحسي"،... فهو لم يكتفي بالكتابة فقط، بل تجاوز هذا الطرح وصولاً إلى التجريب معتبراً أن التجريب وسيلة لتوضيح النسق في شكله الكلي، وليس مجرد اختبار روتيني، مرتكزة نظرية فونت على ثنائية الروح والجسد.

لعل المنهج المهيمن⁵ المعتمد في علم النفس هو المنهج التجريبي، غير أن التجربة التي يقدمها عالم النفس يجب أن تخضع لطابع العلمية أو ما يسمى بالمنهج التجريبي العلمي والمحدد وفق عناصر أساسية وجب أن يتضمنها أي تصميم تجريبي وهي: وجود ظواهر ومتغيرات تحتاج للاستكشاف، و التغير المنظم في المتغير المستقل مع ملاحظة نتائج ذلك على السلوك، ثم ضبط هذه المتغيرات وفق كل عنصر.

وبعد تأسيس علم النفس وبعقود قليلة تعددت المدارس و تراكمت اتجاهاته و تفرعت إلى علوم مختصة بكثرة معاييرها التفسيرية و تعددت مناهجه و تقنيات بحثه، بل اتخذت أشكالاً متباينة بين مدارس و اتجاهاته كالمدرسة السلوكية و مدرسة التحليل النفسي و غيرهما. الشيء الذي دفع المشتغلون بهذا العلم إلى التساؤل الاستمولوجي حول وحدة موضوع و منهج علم النفس في كليته، والواضح أن تعدد الاتجاهات و المدارس في علم النفس تعدد مناهجه و مواضعه، وهذا ما برزته جملة من نظريات التعلم.

. نظريات التعلم: II

1- المدرسة السلوكية

ظهرت المدرسة السلوكية في أوائل القرن 20م، و تحديداً سنة 1912، على يد العالم "جون واطسون" من حتمية بيئية خارجية بعيداً عن المؤثرات الأخرى. كما تحدثت عن علم النفس⁶، و لكي يصبح علم النفس علماً حقيقياً لا بد أن يركز على موضوع يمكن لجميع العلماء ملاحظته لذلك اقترح أن يكون هذا الموضوع هو سلوك الكائن الحي و من ذلك يتحصل أن تعريف علم النفس ينحصر في "الدراسة العلمية للسلوك الذي يثيره." كما أنكروا واطسون وجود استعدادات موروثية، وأكد على دور العوامل البيئية في عملية التعلم و تكوين العادات، وله عبارة شهيرة يقول فيها: "أعطوني اثني عشر طفلاً أصحاء سليماً التكوين، و سأضمن لكم تدريب أي منهم لأن يصبح أخصائياً في أي مجال تختارونه سواء الطب، أو المحاماة، أو الفن، أو السرقة، أو حتى الشحاذة، بصرف النظر عن ميوله و مواهبه". تهتم

⁵ دار المريخ للنشر. طبعة، الرياض، السعودية، 1988. الصفحة: 39-40-41-42 إبراهيم عبد الستار، أسس علم النفس، إبراهيم

⁶ منسي محمود عبد الحليم، المدخل إلى علم النفس التربوي، بدون دار نشر ولا تاريخ ولا رقم الطبعة، ص 25

النظرية السلوكية بنتائج عملية التعلم أو ما يسمى بالتغيرات التي تطرأ على السلوك بالدرجة الأولى ولا تهتم بالعمليات الداخلية التي تحدث داخل الفرد، فالسلوك الظاهري القابل للملاحظة والقياس، يعد المحور الرئيسي الذي تركز عليه هذه النظريات، كما وتركز النظريات السلوكية على دور الحوادث البيئية والتفاعل معها في التعلم، وتقل من شأن العوامل الفطرية والوراثية في هذه العملية⁷.
 إن التعلم⁸ هو نتاج علاقة جدلية بين المثير والاستجابة، فالمثير هو العامل الخارجي الذي يثير الكائن الحي، بينما الاستجابة هي كل نشاط عضوي يظهر نتيجة لتغير ما في المحيط الخارجي (ردة الفعل). و لعل أهم رواد هذه المدرسة السلوكية نجد العالم الفسيولوجي الروسي ايفان بافلوف Ivan Pavlov⁹ الذي قدم نتائج تجاربه في أواخر القرن 19م، التي أصبحت تعرف ب"الاشراط الكلاسيكي"، بحيث قام بتجربة حول الكلب بغرض دراسة وظيفة أعصاب الكلب في حجرة معزولة الصوت مع ربطه رباطا مريحا يمنعه من التحرك، والقيام بالعملية الجراحية لتحويل مسار اللعاب عن طريق الانابيب، مركزا بذلك على الافرازات التي يحدثها الكلب اثناء تناول الطعام، فأعطى "بافلوف" قطعة من اللحم للكلب مصاحبة بدقة الجرس، فسأل لعاب الكلب، وبشكل تكراري و من ثم أصبحت عمليات الاقتران كلما سمع الكلب صوت الجرس سال لعابه (اقتران المثير الطبيعي بالمثير الشرطي)، و بالتالي النظرية السلوكية الكلاسيكية ترى أن السلوك الفردي هو نتاج مباشر لعلاقة الفرد بالمثيرات الخارجية.
 كما تمت الاستعانة بمفهوم "المحاولة"¹⁰ بين التنبيه الشرطي و الغير الشرطي، و لعل أهم مبادئ الشريط الكلاسيكي نجد التكرار (مصاحبة التكرار يقوي الارتباط بين صوت الجرس و لعاب الكلب)، ثم الجمود التجريبي و ذلك عندما يقوم التنبيه الشرطي(الجرس) دون التنبيه الغير الشرطي(الطعام)، تتضاءل الاستجابة، ناهيك عن مبدأي الدعم و التعزيز فالدعم يستعى أن يعتمد على التنبيه الغير الشرطي.

⁷ الزغول عماد عبد الرحيم، مبادئ علم النفس التربوي، دار الكتاب الجامعي، الطبعة الثانية 2012، جامعة موتة، الأردن، الصفحة 91-90.

⁸ القشاعلة عبد العزيز بديع، المرجع السابق ذكره، ص 25-26

⁹ السيد عبد الحليم محمود، سليمان شاكرا عبد الحميد و اخرون، علم النفس العام، مكتبة غرب الطبعة الثالثة 1990 ص 253

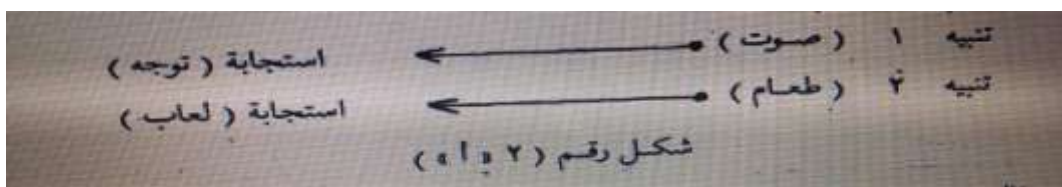
¹⁰ السيد عبد الحليم محمود، سليمان شاكرا عبد الحميد و اخرون، المرجع نفسه ص 255

الشكل 1: تجربة بافلوف حول "الكلب"



السيد عبد الحليم محمود ، سليمان شاكر عبد الحميد و اخرون. علم النفس العام. مكتبة غرب، القاهرة، مصر، الطبعة الثالثة 1990. ص 256

الشكل 2: المثير والاستجابة



لسيد عبد الحليم محمود ، شاكر عبد الحميد سليمان و اخرون ، المرجع السابق ص: 256
ومما لا مناص فيه، الاسهامات التي قدمها رائد المدرسة السلوكية ألا هو "جون واطسون". و في عام 1914م أصدر واطسون كتابه الأول المعنون ب "السلوك: مقدمة في علم النفس المقارن" وقد تجاهل بافلوف في الطبعة الأولى ثم عاد وأشار إليه في الطبعة الثانية. ورأى بأن علم النفس لا بد أن يذفن الماضي أسوة بالعلوم الأخرى.¹¹ قد فسرواطسون تعلم الأفعال المنعكسة في مبدأين هما مبدأى التكرار و الجودة، حيث يقدم للمثير الأكثر تكرارا، كما تعطى الإستجابة¹² للمثير الأكثر جودة ويكرر ذلك مرة ثانية، والتعلم الاستجابة للمثير، بحيث أشارت التجارب العلمية أن التعلم وفق هذا النوع من التشريط الكلاسيكي يقدم نتائج أكثر فعالية، خاصة عندما يحدث المنبه الشرطي سابق للمنبه غير الشرطي بفترة نصف ثانية. هذا ما أوضحه واطسون في مجموعة من تجاربه أهمها تجربة الخوف لدى الطفل "البرت" مع الفأر الأبيض حيث نجح واطسون¹³ في إثارة الخوف لدى الطفل عن طريق تقديم مثير يستدعي الخوف بطبيعته، وهو الصوت القوي المفاجئ بمصاحبة الفأر الذي كان مثيرا حياديا، وكان الطفل قد تعود اللعب معه، وقد اكتسب الفأر صفة المثير الطبيعي للخوف وهكذا تكون

¹¹ القشاعلة عبد العزيز بديع ، المرجع نفسه ص 27

¹² الشرقاوي، أنور محمد، التعلم نظريات وتطبيقات، مكتبة الأنجلو المصرية، جامعة عين شمس، مصر، 2012، ص: 32

¹³ عبد الحليم محمود السيد، شاكر عبد الحميد سليمان و اخرون. المرجع نفسه، ص 253

نوع من الارتباط بين الفأر واستجابة الخوف. عمل واطسون أن يزيل الخوف عن طفل كان يخاف من الأرناب وذلك عن طريق تقديم أرناب أبيض مع وجود مثير يثير السرور لدى الطفل ألا وهو تقديم الحلوى للطفل، إذ استطاع الطفل بطريقة تدريجية أن يتخلص من هذا الخوف المرضي، من هنا يمكن القول أن السلوك المرضي يمكن اكتسابه كما يمكن تجاوزه.

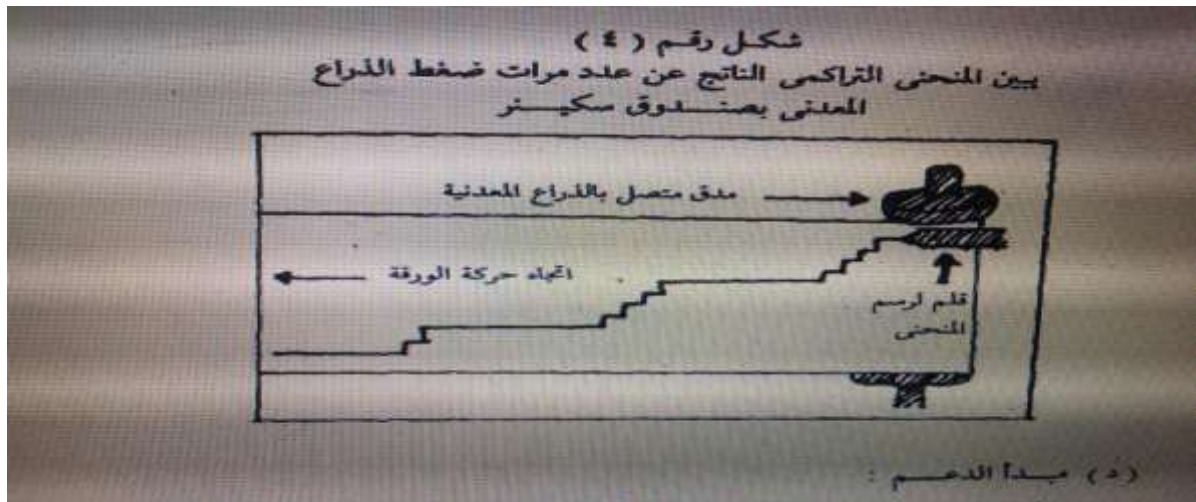
من بين أهم الركائز النظرية الأساسية التي عمد فريديك سكاينر Frederic Skinner على توضيحها نجد أولاً البيئة التي تنقسم إلى عدة مستويات من المثيرات من قبيل المثيرات المستصدرة (تسبق حدوث الاستجابات)، والمثيرات المعززة (تعقب حدوث الاستجابات)، بالإضافة إلى المثيرات المميزة (تسبق الإجراءات لكنها لا تنشئها كما هو الشأن بالنسبة للمثيرات المستصدرة)، وفي الأخير المثيرات المحايدة (وهذا النوع من المثيرات لا يكون له تأثير أو وقع على سلوك الكائن الحي)، ثانياً وضع سكاينر أنواع السلوك وهما السلوك الإيجابي وهو نتاج واستجابة تستثيرها مؤثرات معينة، في حين السلوك الثاني هو السلوك الاجرائي أو ما ينعى له بالاشتراط وهو عبارة عن استجابات تؤثر بقوة على المحيط وتولد نتائج قوية.¹⁴ من أهم مؤلفات المفكر الحديث سكاينر صاحب نظرية الاشرط الاجرائي : (سلوك الكائن الحي) و (السلوك اللفظي و) (الحرية والكرامة)، ويمكن القول أن سكاينر تأثر كثيرا بواطسون و راديكاليته القديمة مظهرا فكرته الجديدة ألا وهي الراديكالية الجديدة، فهو صاحب المواقف المثيرة للنقاش . لقد أجرى سكاينر تجاربه مستخدما جهازا ابتكره يعرف باسم صندوق سكاينر، يتكون الجهاز من صندوق معتم مانع للصوت يحتوي من الداخل على ذراع معدني، إذا ضغط عليه الفأر تسقط له كرة صغيرة من الطعام في طيف خاص صغير، وهذا الذراع موصل بجهاز يسجل عدد مرات الضغط على الذراع.¹⁵ بمعنى اخر ابتكر سكاينر في تجاربه ما يسمى بصندوق سكاينر حيث يشمل هذا الصندوق على رافعة متصلة بمخزن أو وعاء الطعام، ووضع فيه سكاينر فأرا جائعا، بحيث إذا ضغط الفأر على رافعة معينة تظهر له كرة من الطعام (حبة من القمح) يتناولها الفأر داخل القفص، فالفأر يميل إلى الضرب بمنقاره على الرافعة التي في الصندوق بسرعة أكبر حينما اكتشف أن مثل هذا العمل يعمل على إنزال حبات أكثر من القمح، حيث تلعب الرافعة هنا دور المثير المحايد، ويستجيب الحيوان لهذا المثير بالضغط عليها بالمصادفة اثناء سلوكه الاستكشاف الاول (المحاولة والخطأ) وتكون هذه الاستجابة وسيلة أو اداة لظهور الطعام، أو ما يسميه سكاينر المعزز الذي يقوم بدور مثير جديد يؤدي الى صدور الاستجابة الطبيعية وهي مثلا إفراز اللعاب.¹⁶ من هنا فإن حالة التعلم الإجرائي تعني أن

¹⁴العسكري كفاح يحيى صالح، الشمري محمد سعود صغير، العبيدي علي محمد، المرجع نفسه، الصفحة: 72

¹⁵علم النفس العام المرجع نفسه ص270

¹⁶حسانين عواطف محمد محمد، المرجع نفسه، ص: 103-104

السلوك¹⁷ الذي يزداد تكراره (نقر الفأر) يدعى إجرائيا لأنه يحدث ويحصل نتيجة نزول القمح وهذه النتيجة في حد ذاتها يطلق عليها اسم التعزيز(كل إجراء يستهدف دعم السلوك المرغوب فيه)، وهناك جملة تعود إلى سكاينر (إن السلوك محكوم بنتائجه).



عندما نستحضر علم النفس السلوكي وتحديدًا مسألة المثير والاستجابة والتعزيز في إطار التعلم، مع أحد أنصاره (واطسون، سكاينر)، فإننا نجد الحديث ينصب نحو المقاربة بالأهداف التي كانت تعتمد سالفًا في العملية التعليمية التعلمية في المنظومة التعليمية المغربية، وفي وقتنا الراهن أصبح لها امتداد مع المقاربة بالكفايات. ركزت بيداغوجيا الأهداف على تحقيق الأهداف بطريقة جزئية والعمل على تحفيز المتعلم، إلا أن ما يؤخذ على هذه البيداغوجيا هو كثرة الأهداف وتجزئ المضمين، مما يعقد دلالتها لدى المتعلم في الحياة اليومية المعاشة، وتجعله مجرد متلقي للمعرفة لا فاعلا داخلها.¹⁸

2- المدرسة الجشطالتيّة:

نشأت هذه المدرسة على يد كل من "ماكس فريتمر (Max Wertheimer)" و "ولفجانج كوهلر Wolfgang Köhler" في ألمانيا، ومع "كورت كوفكا Kurt Koffka" في أمريكا، وذلك في العشرينيات من القرن الماضي، وكلمة الجشطالت¹⁹ ألمانية الأصل وتعني العينة أو الشكل أو النمط، ومن بين مفاهيم هذه النظرية نجد الكل والبنية والفهم والاستبصار والدافعية. كما ترى أن الكل لا يساوي مجموع الأجزاء وأن تحليله إلى أجزاء يفقده مضمونه الفريد لذلك ينبغي التركيز على التراكيب الكلية بعيدا عن التجزئ والتقسيم. وفي سنة 1924 ظهر كتاب كوفكا: "نمو العقل" الذي نقد فيه

¹⁸الصدقي الصادقي العماري، التربية والتنمية وتحديات المستقبل مقارنة سوسولوجية، مطبعة أفريقيا الشرق، الدار البيضاء- المملكة المغرب، ص: 176-177-178-179.

¹⁹الداهري صالح حسن أحمد، وهيب مجيد الكبسي، المرجع نفسه، ص84

نظرية التعلم بـ (المحاولة والخطأ) لثورندايك. ثم أصدر كولهر كتابه "عقلية القردة" الذي أظهر فيه دور (الاستبصار) في التعلم، واعتبره بديلا للتعلم بـ (المحاولة والخطأ).

إن الجشطالت²⁰ مصطلح باللغة الألمانية وكلمة ذات أصل ألماني Gistaltherioe وبالفرنسية Forme بمعنى الصيغة، أو البنية، أو الشكل، أو الانتظام، أو المجال الذي يقع عليه الإدراك الأولي للشخص. ويكمن تعريف الجشطالت بكونه شيء آخر أو شيء يزيد على حاصل جمع أجزائها. إن لها خصائص لا تنتج من مجرد جمع خصائص عناصرها، بل تنظر إلى عناصرها في شكلها الكلي باعتبارها ذلك الكل المترابط للأجزاء، وهذا الترابط يتأسس بشكل دينامي. بينما البنية تمثل القاعدة الأصل في كل جشطالت، وهي من العناصر المرتبطة بقوانين داخلية، تحكمها ديناميا ووظيفيا، بحيث إن كل تغيير في عنصر معين يؤدي إلى التأثير على البنية ككل، وعلى أشكال اشتغالها تمظهراتها.

أما الاستبصار²¹ باعتباره مفهوما ركيزا في هذه المدرسة، يعنى به إدراك العلاقات الرئيسية التي يتوقف عليها حل مشكلة ما أو هو إدراك لعناصر المشكلة مترابطة في صيغة واحدة تربطها مع الحل إذ أن هناك نمطا من المشكلات التي يتعرض لها الكائن في مواقف التعلم (الفهم الدقيق). فقدرة الفرد على إدراك الموقف الكلي الذي يتفاعل معه، وطبيعة العلاقات القائمة بين عناصر هذا الموقف يعد استبصارا. ذلك أن الاستبصار الذي ينتج عن الارتباط بين المثيرات والاستجابات والتي يعقها تعزيز وإنما يعتمد على عمليات معرفية تتضمن بداية على إدراك حسي مثل الإدراك العقلي، أي فهم للعناصر في المواقف ككل، وللعلاقات القائمة بين العناصر والجزئيات في موقف التعلم.

مما لا شك فيه، يؤكد مؤرخو علم النفس على أن الجشطالت تأثر كثيرا بالفلسفة التي تندد بأهمية العمليات العقلية، كما أن البداية الفعلية للجشطالت²² كانت على يد "ماكس فريتمر" بدراسته التي أجراها سنة 1912م أثناء رحلته إلى مدينة فرانكفورت من خلال تجربة "حركة ظاهرة".

كما أجرى "كوهلر" مجموعة من التجارب حول الاستبصار أهمها تجربة قردة الشامبنزي، حيث كان يقدم لها مشكلات معينة في الوقت الذي كان يعرض فيه عليها بعض ثمار الموز. وفي إحدى هذه التجارب تم وضع كمية من الموز خارج القفص الذي توجد فيه القردة، بحيث تكون بعيدة عن متناول القرد، ولا يستطيع القرد أن يصل إلى الموز باستخدام عصا قصيرة كانت توجد داخل القفص. لكن كان يوجد خارج القفص عصا أخرى أطول، لا يستطيع القرد أن يمسكها بيده، ولكن، يمكنه جذبها باستخدام العصا الأخرى الصغيرة. وقد وضعت العصا الكبيرة في نفس اتجاه الموز، بعد أن فشلت

²⁰ جيوم بول، علم النفس الجشطالت، ترجمة مخيمر صلاح، رزق ميخائيل عبده، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، مصر، 1923، ص: 17-33-34.

²¹ السيد عبد الحليم محمود، شاكر عبد الحميد سليمان وآخرون، المرجع السابق ذكره، ص 278.

²² القشاعلة عبد العزيز بديع مدارس علم النفس دار النشر المركز السيكولوجي للنشر الإلكتروني، فلسطين 2021 ص 35

المحاولات من طرف القردة للحصول على الموز باليد و بالعصا القصير، لوحظ أنه يمر بفترة التوقف لدراسة المجال، و بالتالي بعد فهم العلاقة بين العصا الكبيرة و الفاكهة استطاع القرد أن يوجه سلوكه مباشرة نحو حل المشكلة والعمل على حلها بالاستناد على الفهم الدقيق²³، وإذا حاولنا إسقاط هذه الفكرة على العملية التعليمية التعلمية، فإن هذه النظرية (النظرية الجشطالتيّة)، تحظى بأهمية بالغة في عملية التعلم وحل مجموعة من المشكلات التربوية، فعلى سبيل المثال وداخل الحجرة الدراسية لا يمكن النظر الى المتعلم مجرد متلقي للمعلومة والمعرفة دون الإلمام بعناصر أخرى، بل هذه العملية تتطلب مراعاة الجوانب الجزئية الأخرى_ التفاعل داخل القسم، عوامل التفوق لدى بعض



المتعلمات والمتعلمين دون الاخرين وغيرهما_ وفهمها في شكلها الكلي بعيدا عن التجزئ.

24

دامخي ليلي، محاضرات في مقياس نظريات التعلم، جامعة محمد خيضر، علم النفس التربوي ص:48

3- النظرية البنائية:

تشتق كلمة البنائية (Constructivism) من البناء (Construction) أو البنية (Structure)، وهي مشتقة من الأصل اللاتيني (Sturere) ويعني بها الطريقة أو السير الذي يقام به مبنى ما. والبنائية هي نظرية تعلم وتلقين وليست أسلوب تدريس. يمكن أن يدرس المدرسون بطرق تعرف "بالبنائية" عندما يكونوا مدركين لها ويدرسون بطريقة تتلاءم مع كيفية تعلم التلاميذ والتفاعل معها، مع ضرورة تعدد

²³ السيد عبد الحليم محمود، شاكر عبد الحميد سليمان و اخرون ص 279

²⁴ دامخي ليلي، محاضرات في مقياس نظريات التعلم، جامعة محمد خيضر، علم النفس التربوي ص:48

استراتيجيات التدريس والطريقة الأنجع لكي يتعلم المدرسون كيفية التدريس بالطريقة البنائية هي أن يتعلموا بالطريقة البنائية التي تبنى بين المدرس والمتعلم.²⁵

تأثر البيولوجي "جون بياجيه Jean Piaget" في مسألة التعلم بمجموعة من الباحثين أمثال ذلك عمانوئيل، والذي كان بدوره متأثرا بالنظرية الاستمولوجية، واعتبر أن عملية التعلم تتطلب معرفة مسبقة لبعض المفاهيم المرتبطة بالزمان والمكان. كما تأثر "بياجيه" بكل من "ريتشارلز داروين" و"Charles Darwin" و"جان بابتست لامارك Jean-Baptiste de Lamarck"، إلا أن بياجيه كان أكثر ميلا ل"لامارك الذي يرى أن السمات الوراثية تتغير كنتيجة مباشرة للجهد، وإذا أسقطنا هذه الفكرة على الجانب التعليمي، فإننا سنجد أن المعرفة وعملية التعلم تقدمان للمتعلم المعرفة من البيئة الخارجية وليس بالضرورة بالطريقة الوراثية. غير أن هذا لا ينفي الاختلافات الموجودة بين بياجيه ولامارك. كما شكل التطور النفسي عند الأفراد لدى "بياجيه" اهتماما بالغا، مستنبطا أفكاره من أحد أنصار علم النفس "بولدوين"، ويرى هذا الأخير أنه في مقدور الطفل أن يجد الأشياء المخبأة عن طريق بناء المعرفة، كما قدم بياجيه انتقادات للنظرية الجشطالتيية - التي تم استعراضها في المقال - معتبرا أن الكليات ليست نظرية، بل تبنى من طرف الفرد من خلال تفاعله مع البيئة. لعل أهم كتابات "جون بياجيه" نجد كتاب "اللغة والفكر عند الطفل" وكتاب "الحكم والتفكير الاستدلالي عند الطفل" وأصل الذكاء عند الطفل "وأیضا" بناء الحقيقة عند الطفل²⁶.

ركزت النظرية البنائية على نتائج الملاحظات والدراسات الامبريقية التي قام بها "جون بياجيه" مع زوجته وأطفالهما الثلاث، كما تأثر كثيرا بأفكار ايمانويل كانط Emmanuel Kant، الذي كان ينظر الى أفكار التجريبيين (جون لوك John Locke، دفيد هيوم David Hume..). على أنها أفكار غير كاملة، إذ أن الإنسان فعلا لا يكتسب المعرفة إلا باستخدام الحواس، إلا أنه وفي نفس الوقت هذه الحواس غير كافية لبناء المعرفة، فهذه الأخيرة تتأسس على أصول الأفكار والأبنية العقلية²⁷. ومما لاشك فيه لعب مفهوم الشعور دورا هاما في النظرية البنائية، من خلال تكيفه مع البيئة الخارجية بكون الشعور هو إحدى الطرائق التي يستعين بها الفرد بالتعاون مع جسمه للتكيف مع البيئة، وبالتالي هذه الأخيرة لها وقع على شعور الفرد، فالإحساس بالسرور أو الألم مرتبط بما يحدث خارج الذات الإنسانية من

²⁵ العدوان زيد سليمان، داود أحمد عيسى، النظرية البنائية الاجتماعية وتطبيقاتها في التدريس، مركز دبيونو لتعليم التفكير،

الطبعة الأولى 2016، دبي الإمارات العربية المتحدة، الصفحة: 33-34

²⁶ ناصف مصطفى، نظريات التعلم: دراسة مقارنة، مراجعة عطية محمود هنا، سلسلة عالم المعرفة صدرت السلسلة في يناير

١٩٧، العدد الصفحة: 279-280-281-282

²⁷ العسكري كفاح يحيى صالح، الشمري محمد سعود صغير، العبيدي علي محمد، نظريات التعلم وتطبيقاتها التربوية، تموز للنشر

والطبع والتوزيع، الطبعة الأولى 2012، دمشق سوريا، الصفحة: 129-130

خلال التفاعل مع المحيط، ومنه تعلم الفرد للبيئة يوازي تكيفه معها²⁸. استنادا لما سبق وفي ظل تفاعل الطفل مع المحيط الخارجي، وضح بياجيه مراحل النمو المعرفي لدى الطفل، أولهما مرحلة التطور الإدراكي الحسي أو ما يسمى بالمرحلة الحسية الحركية، وتشمل منذ لحظة ولادة المولود الى السنة الثانية من عمره، ويكون الطفل حركيا لدرجة شبه كاملة، كما يستخدم الأشياء المحسوسة التي يتلقاها من البيئة الخارجية، فهو لا يمتلك لغة لفظة للتواصل مع الآخرين بحيث يجعل من حركاته المتواصلة مصدرا للتواصل من قبيل اللعب والمسك والركض وغيرها²⁹. في حين المرحلة الثانية من مراحل التطور المعرفي هي مرحلة ما قبل العمليات (من سنتين الى سبع سنوات)، وتنقسم بدورها الى طورين أساسيين، طور ما قبل المفاهيم وتمثله المرحلة العمرية من سنتين الى أربع سنوات والذي من خلاله يستطيع الطفل تصنيف المعلومات والمعارف الخارجية، يليه الطور الحدسي من أربع سنوات الى سبع سنوات وفي هذا الطور بالضبط يصنف الطفل التصرفات الخارجية الأكثر غموضا³⁰. ناهيك عن المرحلة الثالثة ألا وهي مرحلة العمليات المادية (من 7 سنوات الى 11 سنة)، وهي الفترة التي يستعين الطفل فيها بالتفكير المنطقي، إذ يصبح بمقدوره مَنطَقَة الأشياء وإدراك مفهوم بقاء الأشياء بالرغم من بعض تغيرها الظاهري، لكن بطريقة جزئية، فهو يعجز في المرحلة الحالية من التجريد الكامل للأفكار والتمثيلات الخارجية. لتبقى المرحلة الرابعة والأخيرة وهي مرحلة التطور الإدراكي المنطقي والممتدة من عمر 12 سنة فما فوق، وفي إطار ربطها بعملية التعلم يمكن للطفل أن يلحق المواد النظرية أمثال الجبر والهندسة والفلسفة وغيرها، كما تمكن هذه المرحلة - المراهق من القدرة على فهم وإدراك المفاهيم المجردة كالصدق والكذب والعدالة والإنسانية.³¹

4- مدرسة التحليل النفسي:

تأثر طبيب الاعصاب النمساوي "سيمغوند فرويد Sigmund Freud" بالفلسفة الوضعية التي كانت تعنى بالعلم وقد تجلى اثرها في تنبيهه لمفهوم الطاقة النفسية الذي وظفها في تصوره لمفهوم الشخصية، كما اتخذ اتجاهها ذاتيا في تكوين نظرية التحليل النفسي، انطلاقا من ملاحظة المرضى الذين كان يعالجهم. إذ يرى أن النفس³² تشبه جبلا من الجليد يطفو فوق سطح المحيط لا يبدو منه سوى جزء بسيط وينبغي أن يعنى بدراسة ذلك الجزء المختفي تحت سطح الماء، وأسمى

²⁸ القشاعلة عبد العزيز بديع مدارس علم النفس دار النشر المركز السيكولوجي للنشر الالكتروني النقب، فلسطين 2021 ص 21-22

²⁹ حمدان محمد زيان، نظريات التعلم تطبيقات علم نفس التعلم في التربية، دار التربية الحديثة 1997، دمشق سوريا،

الصفحة: 110

³⁰ العسكري كفاح يحيى صالح، الشمري محمد سعود صغير، العبيدي علي محمد، المرجع السابق ص: 136-137

³¹ زيان حمدان محمد، المرجع نفسه، الصفحة: 111

³² القشاعلة عبد العزيز، المرجع نفسه ص 41

الجزء الظاهر بالشعور، والجزء المخفي باللاشعور. إن اللاشعور³³ هو موكز اهتمام "فرويد" وخاصة المرتبط بالسنوات الأولى من حياة الطفل (5 سنوات الأولى)، حيث تتكون للطفل الدوافع اللاشعورية نتيجة الضغط والكبت، والتي تؤثر على شخصية الفرد مستقبلا.

ركز فرويد على الحتمية البيولوجية³⁴، وأهم العوامل الثقافية في دور مرحلة الطفولة المبكرة في توجيه الشخصية، كما اثارت الحياة الجنسية الطفلية التي طرحها "فرويد" ردة فعل عنيف لدى الأطباء العقلين و علماء النفس خاصة الذين اعتبروا أن الحوادث الجنسية لدى الأطفال، (اوديب، خصاء)، هي مجرد حوادث جنسية استثنائية. في حين أبان "فرويد" عن الجنسية الطفلية التي تولد مع الطفل منذ لحظة ولادته، إلا أن الجنسية الطفلية لا ترتبط بالجهاز التناسلي، وإنما تعني مجموع الاثار والنشاطات التي تظهر منذ الطفولة وتنشأ معها اللذة. تمر مراحل تطور البيدو مجموعة من المراحل أولهما المرحلة الفمية (صورة الرضاعة)، ثم المرحلة الشرجية، وتظهر في العام الثاني أي الفترة التي يتدعم بها عند الطفل التحكم في الجهاز العصبي، تليها المرحلة القضيبية التي يتشكل فيها القضيب بالنسبة للصبى مركز الاثارة واللذة، بينما يجسد عضو البظر عند البنت ناظرا للقضيب، ثم المرحلة التناسلية وهنا يصبح الموضوع جنسيا³⁵. الابداع ينشأ نتيجة صراع نفسي في بداية حياة الفرد لمواجهة الطاقة الليبيدية.

أشار فرويد الى عناصر الجهاز النفسي، وقسم الشخصية إلى ثلاثة قوى أولهما الهو الذي يولد الطفل مزودا به، وهو منبع الطاقة الحيوية والغرائز كالجنس والعدوان، وتحديد الغرائز الجنسية "الليبيدو"، ويركز الهو على مبدأ اللذة بعيدا عن الأخلاق والمعايير الاجتماعية، كما أنه مستودع للرغبات المكبوتة ويصارع لتحقيقها. أما الأنا هو مركز الشعور، ويطلق عليه بالشخصية الشعورية، كما أنه المشرف على الأفعال الارادية وهو ذاك الواقف بين الهو والأنا الأعلى، بمعنى اخر يعمل الأنا من الناحية الوظيفية كوسيط بين الواقع وشهوات الهو، في حين الأنا الأعلى يجسد "مثال الأنا" ويلعب وظيفة القاضي أو الرقيب تجاه الأنا كما أنه يشكل البعد الأخلاقي والقيمي في الشخصية، ويتمثل دوره أساسي في عمليات الكف لكل من رغبات الهو ويصيغ الأنا بصيغة أخلاقية ويشمل الأعراف والعادات والتقاليد³⁶. إن معظم جوانب السلوك الإنساني مدفوع بحافزين هما حافز الجنس و حافز العدوان، كما يطرح

³³الداهري صالح حسن أحمد، الكبيسي وهيب مجيد، المرجع السابق ص: 76

³⁴المرجع نفسه ص 47

³⁵فيصل عباس، التحليل النفسي الفرويدي، التحليل النفسي للذات الإنسانية(النظرية والممارسة) دار المركز اللبناني، بيروت،

لبنان، الطبعة الأولى 1991

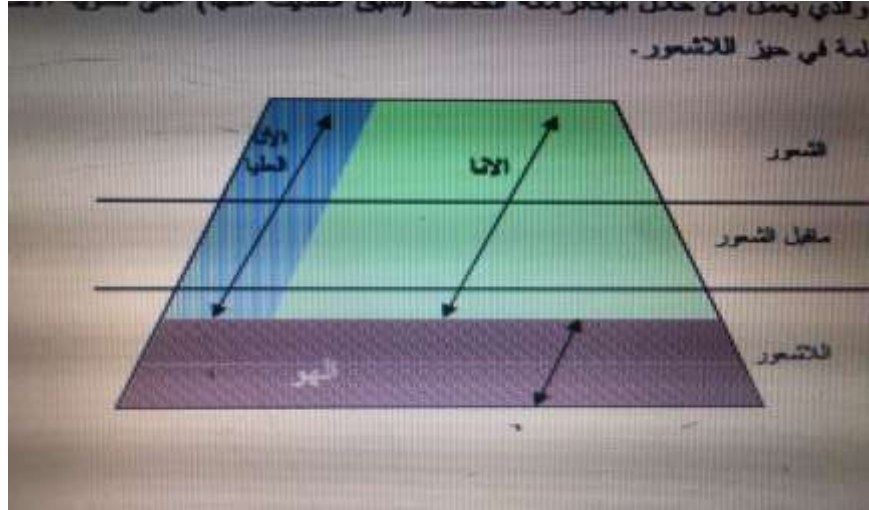
³⁶دحماني سماح،(2016-2017)، ابيستمولوجيا التحليل النفسي عند سيمغوند فرويد، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص

الفلسفة، جامعة المسيلة، كلية الاداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، ص: 48-49-50-51-52

مفهوم اللاشعور ويتخذ مساحة كبيرة في الجهاز النفسي، ويضم كل المكبوتات من الخبرات والعقد لتفسير ما يقوم به الفرد من سلوك دون أن يكون قادرا على تحديد أو معرفة الدوافع الكامنة وراء سلوكه هذا³⁷.

تحدث فرويد عن الوعي واللاوعي³⁸ وأيضا مرحلة ما قبل الوعي، وهذه الأخيرة في مكان متوسط بين نظام الوعي ونظام اللاوعي، وهي بمثابة مرحلة رقابة للوعي قبل خروجه لمرحلة الوعي.

الشكل: الشعور وما قبل الشعور و اللاشعور



الغامدي حسن عبد الفتاح ، مدرسة التحليل النفسي:نظرية فرويد في التحليل النفسي، المحاضرة الرابعة ص 7

خاتمة:

نستنتج مما سبق، وتماشيا مع الإشكال المطروح أن علم النفس من بين أهم العلوم وتحديدًا العلوم الإنسانية، والذي عرف تراكم تاريخي منذ زمن طويل بفضل مساهمات الكثير من العلماء والمفكرين الذين بحثوا في جوانب الذات الإنسانية.

وإجمالًا، الملاحظ أن بروز علم النفس أدى إلى تبلور جملة من النظريات للتعلم أمثال ذلك النظرية السلوكية ثم الجشطالتيه تلميها البنائية، وأيضا التحليل النفسي، والتي تختلف ايدولوجياتها باختلاف أنصارها، بالإضافة إلى تباين نتائج التجارب التي قدمت من طرف كل نظرية على حدة.

³⁷عواطف محمد محمد حساين ، سيكولوجية التعلم(النظريات، عمليات معرفية، قدرات عقلية)، الناشر المكتبة الاكاديمية شركة

مساهمة مصرية 2012، ص 63-64

³⁸فيصل عباس، المرجع نفسه ص 51-52-35

المراجع:

- ✓ ابراهيم عبد الستار ، أسس علم النفس، دار المريخ للنشر، طبعة ، الرياض،السعودية، 1988.
- ✓ الداھري صالح حسن أحمد ، الكبيسي وهيب مجيد ، علم النفس العام، دار الكندي للنشر التوزيع، اريد الأردن الطبعة الأولى، 1999 .
- ✓ الزغول عماد عبد الرحيم، مبادئ علم النفس التربوي، دار الكتاب الجامعي، الطبعة الثانية2012، جامعة مودة، الأردن.
- ✓ السيد عبد الحلیم محمود ، سليمان شاكر عبد الحميد و اخرون، علم النفس العام،مكتبة غريب، القاهرة، مصر، الطبعة الثالثة 1990.
- ✓ الشرقاوي، أنور محمد، التعلم نظريات وتطبيقات، مكتبة الأنجلو المصرية، جامعة عين شمس،مصر،2012.
- ✓ الصديق الصادق العماري، التربية والتنمية وتحديات المستقبل مقارنة سوسولوجية، مطبعة أفريقيّا الشرق، الدار البيضاء-المملكة المغرب.
- ✓ العدوان زيد سليمان، داود أحمد عيسى، النظرية البنائية الاجتماعية وتطبيقاتها في التدريس، مركز دبيونو لتعليم التفكير، الطبعة الأولى 2016، دبي الإمارات العربية المتحدة.
- ✓ العسكري كفاح يحيى صالح، الشمري محمد سعود صغير، العبيدي علي محمد، نظريات التعلم وتطبيقاتها التربوية، تموز للنشر والطبع والتوزيع، الطبعة الأولى 2012،دمشق سوريا.
- ✓ الغامدي حسن عبد الفتاح ، مدرسة التحليل النفسي:نظرية فرويد في التحليل النفسي، المحاضرة الرابعة.
- ✓ القشاعلة عبد العزيز بديع مدارس علم النفس دار النشر المركز السيكولوجي للنشر الالكتروني النقب،فلسطين 2021
- ✓ تمحري عبد الرحيم، علم النفس-التيارات والميادين ،مطبعة السيدة الحرة نطوان، المغرب، الطبعة الثالثة 2017.
- ✓ جيوم بول، علم النفس تالجبشطات، ترجمة مخيمر صلاح، رزق ميخائيل عبده،مؤسسة سجل العرب، القاهرة، مصر،1923.
- ✓ حسانين عواطف محمد محمد ، سيكولوجية التعلم: النظريات، عمليات التعلم، قدرات عقلية، المكتبة الأكاديمية، شركة مساهمة مصرية ، الطبعة الأولى1433 هـ ، القاهرة، مصر،2012.
- ✓ دامخي ليلي،محاضرات في مقياس نظريات التعلم،جامعة محمد خيضر، علم النفس التربوي.

- ✓ دحماني سماح،(2016-2017)، ايبستمولوجيا التحليل النفسي عند سيمغوند فرويد،مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص الفلسفة، جامعة المسيلة، كلية الاداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية.
- ✓ زيان حمدان محمد ، نظريات التعلم تطبيقات علم نفس التعلم في التربية،دار التربية الحديثة 1997، دمشق سوريا.
- ✓ فيصل عباس، التحليل النفسي الفرويدي، التحليل النفسي للذات الإنسانية(النظرية والممارسة) دارالمركز اللبناني، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى. 1991.
- ✓ منسي محمود عبد الحلیم، المدخل إلى علم النفس التربوي، بدون دار نشر ولا تاريخ ولا رقم الطبعة.
- ✓ ناصف مصطفى، نظريات التعلم: دراسة مقارنة، مراجعة عطية محمود هنا، سلسلة عالم المعرفة صدرت السلسلة في يناير 1980.
- ✓ عواطف محمد محمد حساين ،سيكولوجية التعلم(النظريات،عمليات معرفية،قدرات عقلية)، الناشر المكتبة الاكاديمية شركة مساهمة مصرية 2012.